ميلاد يسوع

تأليف: تومي ساوث

« ...ويعقوب *ولد* يوسف رجل مريم *التي ولد منها* يسوع *الذي يدعى* المسيح... » (متى ١: ١–٢: ٢٣).

في خريف عام ١٩٨٨م. أثار الفلم « تجربة يسوع الأخيرة » ضجة كبرى، حتى ان غلاف مجلة الـ « تايم TIME » طرح السؤال: من هو يسوع المسيح؟ لا توجد شخصية أخرى في تاريخ العالم لها تأثير مثلما كان لهذا الإنسان الذي كان من الناصرة، حتى بعد مرور ألفين سنة من مجيئه إلى الأرض. ولكن من الغريب لا يعرف معظم الناس في العالم اليوم من هو يسوع أكثر مما عرفه الناس حينذاك.

يبدأ العهد الجديد بأربعة « أناجيل » – أربعة سجلات لحياة يسوع، وقد كُتِبَتْ لتخبرنا عمن هو يسوع. لم يتحدث متى ومَرقس ولوقا ويوحنا عنه فقط، وإنما أظهروه ونادوا به جهراً. لقد كان هدف هؤلاء الكُتَّاب الموحى إليهم هو إقناعنا بان نؤمن بيسوع، ونتبعه، ونحبه.

إنجيل متى هو الأكثر شهرة من بين الأناجيل الأربعة. وهو الإنجيل الذي أُقْتُبِس أكثر من قبل الكُتّاب في الكنيسة في عهدِها الأولى، وما زال الأكثر شهرة من بين الأناجيل الأربعة حتى اليوم. انه يروي لنا أحداثاً محبوبة جداً مثل ولادة يسوع، الموعظة على الجبل، « أمثال الملكوت » المشهورة، موته وقيامته الهامين، وينتهي بالمأمورية الكبرى والمثيرة، التي تعتبر كـ « أوامر السير » للكنيسة منذ ان نطق يسوع بهذه الكلمات.

إن قصد متى المميز في إنجيله هو أن يصور يسوع كالملك وأن يخبر ماذا يعني ان نكون في ملكوته. يعطي الأصحاحان الأول والثاني معلومة عن ولادة يسوع والأحداث المحيطة بها. أظهر متى منذ بدء إنجيله من هو يسوع من خلال قصة ميلاده.

لقد وُلِدَ يسوع

يحتوي إنجيل متى ١: ١–١٧ على سلسلة نسب يسوع. قد يبدو ذلك كبداية غير مألوفة، ولكن كانت مسألة اسلاف يسوع في غاية الأهمية للذين كتب إليهم متى وكان أغلبهم من اليهود. يجب أن تكون سلسلة نسبه ذات أهمية لنا أيضاً لأنها تذكرنا بانه كان إنساناً كاملاً. كان له أبوين، جد وجدة، ومجموعة من الأجداد. انه عاش ومات في وقت محدد من التاريخ. يسوع المسيح ليس « أسطورة » أو مجرد رمز للصلاح والرجاء. وإنما عاش ومات كإنسان.

لم يكن اهتمام متى ان يبين أن يسوع هو إنسان فحسب، بل انه هو الإنسان – الذي بواسطته تممت كل مواعيد الله لإبراهيم وداود. تصفه الآية الأولى من إنجيل متى بانه « يسوع المسيح » أي المسيا الموعود، الذي أُرْسِلَ من عند الله ليؤسس ملكوته. هو أيضاً « ابنَ داود » و « ابن إبراهيم »، الشخصيتين ذات الأهمية الكبرى في قائمة سلسلة النسب. كان الله قد وعد إبراهيم قائلاً: « ...وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » (تكوين ١٢: ٣). يبين متى ان ذلك الوعد قد تمم الآن في المسيح. هكذا أيضاً كان الله قد وعد داود بان حفيده سيملك على كرسي إسرائيل إلى الأبد.[١] يكشف متى ان هذا

[١] أنظر صموئيل الثاني ٧:١٢–١٦.

الحفيد ليس إلا يسوع الناصري، ملك الملوك. كل ما عمل الله على الاطلاق أو ما وعد به قد تمم في هذا الإنسان الواحد – يسوع المسيح، ابن داود، ابن إبراهيم.

وُلِدَ يسوع قدوساً

بعد اظهار إنسانية يسوع في ١: ١–١٧، يصرح متى الآن بانه لم يكن «مجرد» إنسان. يمكن أن يدّعي الكثير من الناس بانهم من نسل إبراهيم وداود حسب الجسد. ولكن يسوع المسيح وحده وُلِدَ من الروح القدس. بصراحة، لم يكن يسوع منَ نسل داود حسب الجسد، وإنما كان نسل شرعي بفعل تبنيه من قبل يوسف الذي لم يكن أبوه حسب الجسد. ان قصة الحبل بيسوع وولادته هي قصة جميلة، ولكنها أكثر من مجرد قصة جميلة. انها تظهر اندماج تام بين إنسانيته وألوهيته. والنتيجة مذكورة في متى ١: ٢٣ – يسوع هو «عمانوئيل»، أي «الله معنا». كان يسوع إلهاً يمشي على الأرض، إلهاً في شبه إنسان، إنساناً كاملاً ومع ذلك إلهي. لهذا كل ما قاله الناس عن هويته لم يكن مناسباً. قد يسمونه «النجار»، أو «نبياً»، أو «إيليا»، أو «يوحنا المعمدان» مقام من الموت. ولكن مهما كان حسن النوايا الذي يظهر في هذه الألقاب، إلا انها قاصرة – حتى يدرك الناس ان يسوع هو ابن الله ذاته.

وُلِدَ يسوع، محبوباً، ومبغوضاً مجهولاً

يروي إنجيل متى ٢: ١–٢٣ قصة مشهورة عن «المجوس» الذين جاءوا من بعيد ليسجدوا ليسوع. يخبرنا أيضاً عن هيرودس المصاب بجنون العظمة الذي خاف بسبب نبوءة ميلاد ملك جديد، حتى أصدر أمراً جنونياً بذبح كل الأطفال الذكور في محاولة للقضاء على أي وريث محتمل لكرسي إسرائيل. يخبر عن هروب يوسف غير الباعث للأمل إلى مصر لإنقاذ حياة الإبن الصغير. بما ان هذه القصص رائعة بطريقتها الخاصة، يوجد بها صفة رمزية أيضاً. انها تنذر كيف سيكون دائماً. سيكون يسوع دائماً محبوباً، ومبغوضاً، مجهولاً.

يحتمل ان المجوس كانوا منجمون. استخدم الله انشغالهم بالنجوم ليظهر ميلاد ابنه. ونتيجة لذلك، بحث «المجوس» عن يسوع لكي يسجدوا له ويعبدوه ويعطوه عطايا. كان هناك بل وسيكون دائماً أقلية ذات شأن يحبون يسوع ويسجدون له بسبب من هو.

كان هيرودس شريراً وقاسياً وغيوراً. وعندما لم يرى في يسوع إلا تهديداً لسلطانه، حاول ان يهلكه منذ وقت ولادته. حتى عندما مات هيرودس، كان يوسف خائفاً أن يعود إلى اليهودية لأنه كما يقول إنجيل متى ٢: ٢٢ بانه خلف هيرودس في السلطة أرخيلاوس ابنه الشرير مثله. كان ليسوع أعداءاً دائمين؛ وسيكون له ذلك دائماً. كان الفلم «تجربة المسيح الأخيرة» تحريفاً مخزياً لحياته، وأثار تلقائياً فيض من الاحتجاجات من قبل المؤمنين. ولكن لا يمكن منع الناس من ان يكونوا أناساً. وإنما مهما يقول العالم عن يسوع، يمكن ان يستخدم ذلك كفرصة لتوضيح من هو يسوع حقاً، كما يفعل متى تماماً.

بالإضافة إلى حقد هيرودس عند ميلاد يسوع، كان هناك عدم أهتمام ملفت للنظر من قبل «كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب» (متى ٢: ٤). جمع هيرودس قادة الدين ليتأكد منهم أين ولد المسيا. تظهر الآيتين ٥ و٦ انهم كانوا يعرفون الأسفار المقدسة جيداً، لأنهم استطاعوا أن يحددوا من نبوءة ميخا ٥: ٢ مكان ولادته – أي بيت لحم التي تبعد مسافة خمسة أميال فقط من أورشليم. ولكن يظهر السجل انه ولا واحد من هؤلاء اللاهوتيين المتعلمين مضى ليسجد له! كما كتب جي. سي. ريل: هؤلاء الرجال «كانت في عقولهم معرفة الأسفار المقدسة ولكن لم تكن في قلوبهم رحمة». ان عدم اهتمامهم بيسوع هو أمر مذهل، مع انهم كانوا يؤمنون ان المسيا آت وكانوا يعرفون بالتحديد أين، كانوا رمزاً فقط للملايين اليوم الذين يعرفون عن يسوع ولكن يرفضون ان يخدموه.

وُلِدَ يسوع حسب النبوءة

في الأصحاحين الأول والثاني، إقتبس متى من نبوءات العهد القديم خمس مرات ليبين أن يسوع هو المتمم لها:

> وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: «هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا» (متى ١: ٢٢ و٢٣).

> فقالوا له: «في بيت لحم اليهودية، لأنه هكذا مكتوب بالنبي: وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا، لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل» (متى ٢: ٥ و٦).

> فقام وأخذ الصبي وأُمه ليلاً وانصرف إلى مصر. وكان هناك إلى وفاة هيرودس، لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: «من مصر دعوت ابني» (متى ٢: ١٤ و١٥).

> حينئذ تم ما قيل بإرمياء النبي القائل: «صوت سمع في الرامة، نوح وبكاء وعويل كثير، راحيل تبكي على أولادها ولا تريد أن تتعزى، لأنهم ليسوا بموجودين» (متى ٢: ١٧ و١٨).

> وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة، لكي يتم ما قيل بالأنبياء انه: «سيدعى ناصرياً» (متى ٢: ٢٣).

بالإضافة إلى هذه النبوءات المباشرة للأحداث المحيطة بولادة يسوع، توجد دلائل كثيرة للتوجيه الإلهي في مختلف الأحداث في هذين الأصحاحين:

> ثم إذا أوحي إليهم في حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس، انصرفوا في طريق أخرى إلى كورتهم (متى ٢: ١٢).

> وبعد ما انصرفوا، إذ ملاكاً قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً: «قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك، لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه» (متى ٢: ١٣).

> فلما مات هيرودس، إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر قائلاً: «قم وخذ الصبي وأُمه واذهب إلى أرض إسرائيل» (متى ٢: ١٩ و٢٠).

> ولكن لما سمع أن أرخيلاوس يملك على اليهودية عوضاً عن هيرودس أبيه، خاف أن يذهب إلى هناك. وإذ أُوحيَ إليه في حلم، انصرف إلى نواحي الجليلَ (متى ٢: ٢٢).

القصد واضح من كل هذا وهو: ان الله كان في سيطرة تامة على الأحداث المحيطة بولادة ابنه، ليتمم مشيئته. تتميم النبوءات والتدخل الإلهي المستمر توضح أيضاً ان يسوع هو حقاً المسيا الموعود به لإسرائيل.

وُلِدَ يسوع مُخَلِّصاً للجميع

غالباً ما يوصف إنجيل متى بانه إنجيل «اليهود» بصفة خاصة. انه يدعي بمعرفة العهد القديم وأهميته، وبتتميم النبوة، وبمجيء مسيا إسرائيل. في هذا الإنجيل، اظهار يسوع انه المسيا هو الفكرة الرئيسية البارزة أكثر مما هي في الأناجيل الثلاثة الأخرى.

حتى منذ بداية إنجيل «اليهود» هذا، يبين متى أن يسوع هو أكثر من مجرد مسيا إسرائيل – هو مخلص كل من اليهود والأمم. لاحظ الحقائق التالية التي تبين هذا:

١. من بين النساء الثلاث المذكورات في سلسلة نسب يسوع (ثامار، راحاب، راعوث) كانت اثنتين منهن من الأمم وهما (ثامار، وراعوث).

٢. كان «المجوس» من الأمم ومع ذلك جاءوا ليسجدوا ليسوع. وقد اسماهم ر. هـ. غاندري «طليعة الأمم التي جاءت لتسجد» ان سجودهم كالأمم هو رمزاً لكل منا نحن الذين نسجد للمخلص ولسنا من إسرائيل حسب الجسد.

٣. ليس كل الذين ظهرت أسمائهم في سلسلة النسب طاهرين وأتقياء. كانت ثامار زانية (تكوين ٣٨)، وكانت راحاب عاهرة (يشوع ٦). قد ارتكب كل من اسحق ويعقوب وداود نصيبهم من الخطية. ومع ذلك جاء يسوع ليخلصهم أيضاً! انه ليس مسيا إسرائيل فحسب، بل أيضاً مسيا كل شخص!

الخلاصة

عندما قال الملاك ليوسف ان لا يخاف بأن يأخذ مريم زوجة له، أكد له الملاك ان «الذي حبل به فيها هو من الروح القدس» ثم أضاف: «فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع. لأنه يخلص شعبه من خطاياهم» (متى ١: ٢١).

لهذا السبب أرسل الله ابنه إلى العالم – ليخلصنا من خطايانا. هذا يوضح من هو – مخلصك. ولكن ليس الجميع يسمحون له ان يخلصهم، رغم انه يريد ان يفعل ذلك. هل تسمح له؟

إن لم يكن يسوع المسيح هو كل ما ادعى به، فانه يكون أكبر كذاب عرفه العالم على الاطلاق. إن لم يكن يسوع المسيح هو الله وابن مريم، لكان العالم قد ضُلل؛ يكون قد غش أكثر الناس، ويكون مصدر رجاء كاذب أكثر من أي إنسان عاش في العالم على الاطلاق.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧